ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

Sheikh Jalal al-Din al-Hanafi, His Life and Intellectual Product

Prf. Dr. Wijdan Fareeq Enad

University of Baghdad /Center for the Revival of the Arab Scientific Heritage

* *Corresponding author: E-mail* :
wjdan_fareeq@yahoo.com
07901235572

***Keywords*:**
Jalal al-Hanafi
Biography
Baghdad
intellectual product

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 28 Mar. 2021
Accepted 19 Apr 2021
Available online 2 June 2021
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

A B S T R A C T

This research deals with an important Iraqi figure who had a major impact on the history of contemporary Iraq. Sheikh Jalal al-Hanafi al-Baghdadi is an example of moderation, coexistence, enlightenment thought, and renewal.

Sheikh Jalal Al-Hanafi is considered one of the most important contemporary Iraqi encyclopedic authors, if not the most important of them at all. He specialized in various aspects of knowledge and culture, and he was an example of the authentic Baghdad personality. Thus, he spent his life in documenting Baghdad's heritage and culture, leaving a large and varied heritage. In addition to his intellectual output, he worked in the Iraqi press, he was a poet who left an important poetic legacy, and was interested in Iraqi melodies and shrines, so he deserved the title of encyclopedic character.

© 2021 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.28.2021.10

الشيخ جلال الدين الحنفي حياته ونتاجه الفكري

أ.د. وجدان فريق عناد /جامعة بغداد/ مركز إحياء التراث العلمي العربي

الخلاصة:

يتناول هذا البحث شخصية عراقية مهمة كان لها أثر كبير في تاريخ العراق المعاصر ، وهو الشيخ جلال الحنفي البغدادي ، الذي يعد مثالاً يحتذى به في الوسطية والتعايش والفكر التنويري، والتجديد .

يعد الشيخ جلال الحنفي من أهم المؤلفين الموسوعيين العراقيين المعاصرين ، إن لم يكن أهمهم على الاطلاق ، واختص بجوانب متعددة من المعرفة والثقافة، وكان مثالاً للشخصية البغدادية الأصيلة ، حتى أنه أفنى عمره في توثيق التراث والثقافة البغدادية ، وترك تراثاً كبيراً ومتنوعاً . وهو فضلاً عن نتاجه الفكري فقد عمل في الصحافة العراقية ، وكان شاعراً ترك إرثاً شعرياً مهماً ، وكان مهتماً بالأنغام والمقامات العراقية ، لذلك استحق بجدارة لقب الشخصية الموسوعية .

المقدمة :

ربما لم تسكن مدينة حياة رجل كما سكنت مدينة بغداد حياة الشيخ جلال الدين الحنفي البغدادي، حتى أنه أصبح ابن بغداد بامتياز، ولا يمكن فهم حياة الحنفي إلا من خلال بغداد، بغداد المدينة، والثقافة، والفكر، والتسامح الديني .

فثقافياً كان الحنفي سلة بغداد الثقافية المتنقلة، وفكرياً هو الوريث الشرعي لأهم مفكري بغداد ومبدعيها، ودينياً كان يحمل بين ثنايا جلبابه وعمامته المميزة مشروعاً فذاً للتسامح الديني هو امتداد لتاريخ الإسلام العظيم المجبول على التسامح الديني .

لذلك سنحاول في بحثنا هذا أن نتناول بعضاً من محطات حياة هذا الرجل الكبير الذي ترك إرثا معرفياً وثقافياً وإنسانياً كبيراً .

حياته وصفاته الشخصية :

هو الشيخ جلال محي الدين بن عبد الفتاح بن مصطفى بن ملا محمود الحنفي[١] البغدادي، ولد في محلة البارودية في بغداد في العام ١٩١٢ [٢]، ودرس علومه الدينية الأولى فيها ، فقبل سن المدرسة تتلمذ على يد الملا إبراهيم الأفغاني في محلة الميدان، ثم التحق بالمدرسة متنقلاً بين البارودية والمأمونية والصدرية الابتدائية، وتلقى تعليمه في مدارسها [٣].

وعلى الرغم من ولادته في بغداد فإنه عاش حقبة قصيرة من طفولته بالبصرة بسبب عمل والده، إذ أدخله والده في الكتاتيب ليختم القرآن الكريم ، ثم أدخله المدرسة الابتدائية وكان بارعاً في دروس اللغة العربية، وكان يقرأ في صغره الروايات العربية الشهيرة مثل عنتر وسيف بن ذي يزن ، ومن ثم انتقل إلى مدرسة الإمام الأعظم (التي تغيرت تسميتها فيما بعد إلى دار العلوم)[٤].

وذكر الأديب والصحفي الرائد مكي عزيز (١٩١٢– ١٩٩٧م) عن أيام دراسته الأولية في بغداد، والتي زامل خلالها الشيخ الحنفي، أنهم كانوا يكتبون مقالات ونصوصاً أدبية ينشرونها في مجلات مدرسية كانوا يكتبونها ويصممونها باليد، وكان مصمم المجلة وخطاطها جلال الحنفي، وكان يجري تداول المجلة من يد إلى يد أخرى ولا يحتكرها أحد لنفسه [٥].

وممن اتصل بهم من علماء زمانه الشيخ محمد القزلجي، والشيخ رشيد آل الشيخ زاده، والشيخ كمال الدين الطائي، والشيخ العلامة سليمان سالم الكركوكلي، والشيخ عبد القادر الخطيب، والأساتذة محمد سعيد الأعظمي، ورشيد الجلبي، وعبد الستار عبد اللطيف ثنيان، ومحمد شفيق العاني، ومحمد فهمي الجراح، ومن ثم لازم الشيخ أمجد الزهاوي وغيره من العلماء في بغداد وأخذ عنهم [٦].

كان أول من أطلق عليه لقب (الشيخ) هو العلامة الأب انستاس ماري الكرملي [٧] في العام ١٩٣٣، أي منذ رآه معتماً بعمامة، فاستهواه اللقب وصار بمثابة توقيعه الشخصي، كما كان يسميه البعض ذاكرة بغداد أو الموسوعة الحية لبغداد .

وفي العام ١٩٣٥ عين خطيباً في جامع المرادية بالميدان (مقابل وزارة الدفاع)، وهو أحد أعرق مساجد بغداد، ثم بعد عام واحد أقصاه مدير الأوقاف محمد بهجت الأثري من منصبهِ وأنزله من المنبر وعزله عن مهنة الخطابة، إذ بلغهُ أن الشيخ الحنفي كان يلقي خطبة الجمعة بطريقة المقامات البغدادية، فرد عليهِ الحنفي بقصائد من شعر الهجاء تجاوزت الأربعين قصيدة [٨].

ومن ثم أصبح خطيباً في جامع الخلفاء العريق، الذي أصبح ملاذه الذي يقضي فيه معظم نهاره، يقرأ ويكتب، ويلقي الدروس على طلبته ومريديه [٩]. فضلاً عن ذلك فقد التحق بجمعية الناشئة الإسلامية، وكلف بمهام سكرتير الجمعية، ورئيساً لتحرير مجلتها [١٠].

وبعدها غادر إلى مصر في العام ١٩٣٩ملتحقاً بالأزهر الشريف لدراسة العلوم الشرعية، وبقي هناك سنة واحدة، عاد على أثرها إلى بغداد في العام ١٩٤٠ بعد نشوب الحرب العالمية الثانية [١١]. واتصل حين وجوده في مصر خلال المدة ١٩٣٩-١٩٤٠ بجمهرة من كبار علمائها ومفكريها، ومنهم الشيخ محمد الخضر حسين ومحمد فريد وجدي ومحمد زاهد الكوثري وآخرون من أقطاب الفكر هناك [١٢].

ولقد شغل منصب الإمام والخطيب في مساجد بغداد فعين خطيباً في جامع عطا وإماماً في مسجد الحاج نعمان الباجه جي ، ثم نقل إلى جامع الوصي (الحرية حالياً) في محلة العيواضية عام ١٩٤٩م، وبعدها نقل إلى مسجد أمين خليل الباجه جي عام ١٩٥٣م، ثم نقل إلى جامع كوت الزين في البصرة، ثم إلى جامع الكهية في محلة الميدان عام ١٩٥٧م، ولتدخلهِ في شؤون دائرة الأوقاف فصل من وظيفته عام ١٩٥٩م، حيث وقع بينهُ وبين مدير الأوقاف العام آنذاك خصام شديد وبقي بعيداً عن دائرة الأوقاف مدة طويلة فتوسط لهُ بعض معارفه وأصدقائه فصدر مرسوم جمهوري بإعادته إلى وظيفتهِ فرفض أن يباشر، وفي عام ١٩٦٦م انتدب مشرفاً لغوياً في وزارة الإعلام العراقية، فكان يتكلم من دار الإذاعة العراقية ويكتب المقالات الطويلة في الصحف والمجلات العراقية والعربية مما دلّ على طول باعهِ وسعة اطلاعه وثقافتهِ الموسوعية العالية، وكان يحسن عدة لغات أجنبية فهو يجيد اللغات الإنكليزية والاسبانية والصينية والتركية والفارسية والكردية وقليلاً من الفرنسية والألمانية والعبرية، ولم يلبث في هذه الوظيفة إلا قليلاً إذ أوفدته الحكومة إلى الصين، لتدريس اللغة العربية في معهد اللغات الأجنبية بمدينة شنغهاي عام ١٩٦٦ [١٣].

كان جلال الحنفي رجل دين، يختلف عن سواه من رجال الدين في تقاليدهم وطقوسهم، فقد كان ثائراً في تنوعه الإنساني، خرج بالجامع إلى معركة الحياة يحارب الذل والفقر والظلم مهما كان مصدر هذه الآفات : سلطة المجتمع أو سلطة الدولة، حتى حوصر في تحركاته وفي رزقه وفي شؤونه العلمية، وحاربته الأوقاف نصف قرن فلم تجعله يستقر في جامع لكي يتفرغ للتأليف أو التشريع بنبوغه الخاص، ثم حاربه رجال الدين من المقربين للحكومات، لأن الحنفي ما أراد الدين عمائم فقط بل الدين أن تنزل العمائم إلى الساحات وترى المأساة التي تطحن اليتامى وجهالة الناس، وعندئذ يصبح الدين رحمة وطهراً، بل يصبح الدين مأوى لكل المعذبين في الأرض، ويغدو رجل الدين : هو المخلص من آفات القرون الأولى .

وكان يبدو وهو يطوي شوارع بغداد وأزقتها بجلبابه وعمامته الضامرة، كأنه أثر عباسي يُذكّر بشيوخ علم الكلام وفقهاء المناظرات، التي كانت تُعقد بدار الخلافة أو بصحن المدرسة المستنصرية. ويجد الناظر في سلوكه، وفي مؤلفاته أنه أمام رجل دين من طراز آخر، حاول الجمع بين الدين والدنيا جمعاً مريحاً، توسطاً واعتدالاً، ولم يصل إلى لحظة تسييس العلاقة بينهما [١٤].

تعرض الحنفي إلى ظلم كبير في تاريخنا الديني، ففي بواكيره فصل من دار العلوم وكان في الصف الخامس النهائي، لأنه تجرأ وفسَّر نصوصاً دينية باجتهاده الخاص، ثم قامت الحكومة بنقله من جامع قريب إليه إلى جامع في جنوبي العراق، لأن الحنفي خطب يسخر من مدير الأوقاف لجهله بالأوقاف، وعندما عُيّن قاضياً في أواخر العهد الملكي ذهب الواشون إلى البلاط وجمدوا الأمر، كان يواجه محنة لا مفر منها [١٥].

والحنفي أبعد الناس عن الطائفية، فالبعض يعتقد أنه ما دام يحمل لقب طائفة معينة منذ طفولته العلمية فهو حتماً طائفي ويصدر عن بيئة طائفية، وهذا اعتقاد مغلوط، فالحنفي رجل موحد نبيل في ديانته ومعتقده، وحتى في نياته السرية أو في مجالسه الخاصة كان يرفض الفكر الطائفي . وهذا الأمر ينسحب على الديانات أو الأفكار الأخرى إذ اتخذ الشيخ جلال الحنفي موقفاً جميلاً من أهل الأديان والأفكار الأخرى، فقد كان منفتحاً على صديق يهودي مثل مير بصري (ت ٢٠٠٦)، وآخر مسيحي مثل الأب أنستاس ماري الكرملي (ت ١٩٤٦)، وآخر يمثل التراث اليساري مثل هادي العلوي، وربما تحادثا بالصينية معاً فكلاهما علَّم العربية بالصين[١٦]، لذلك وصفه مير بصري بأنه "رجل دين متسامح واسع الأفق" [١٧]. وكان يُسعد بتقديم لمؤلفاته بقلم الشيخ محمد رضا الشبيبي (ت ١٩٦٥). وقال في الشبيبي: "ولزام أن أثني الثناء الكبير على الأستاذ العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي لتفضله بتقديم الأمثال البغدادية، ومثل الشبيبي غنيٌ فضله ومقامه عن التعريف" [١٨].

وأشاد الدكتور شموئيل موريه في كتابه (بغداد حبيبتي) بدور الشيخ جلال الحنفي في وقف أعمال الفرهود ضد السكان اليهود التي حدثت أثناء حركة ١٩٤١م، وذلك يومي (الأول والثاني من حزيران ١٩٤١). وفي الصدد نفسه قال الأديب والمحامي أنور شاؤول: "لن أنسَ المبادرة الفريدة الحميدة التي قام بها الواعظ الشيخ المفضال الاستاذ جلال الحنفي، إذ توجه عن طريق الإذاعة إلى جماهير الشعب العراقي في ظهيرة الثاني من حزيران، والنظام في بغداد وسائر مدن العراق ما زال سائبا، والغوغاء ما زالت تتحين الفرص، بنداء بليغ حذر فيه الناس من مغبة الاعتداء على اليهود وأموالهم" [١٩].

وذكر حميد المطبعي أنه سأله عن سبب حلاقته للحيته فأجابه :" كنت أتمنى أن تكون لي لحية بطول لحية الأب انستاس الكرملي فإنها روعة في عالم اللحى وفيها من الهيبة ما يميز صاحبها مكانة في النفوس ولكن صرفني عن ذلك أكثر من صارف، فأنا إمام في المساجد وليس في ذلك كبير شأن يستوجب أن تكون اللحية في وجهه مصونة لدى دوائر الأوقاف والناس، وكان راتبي ضئيلاً ولحية الفقير مهينة ومخذولة..! " [٢٠].

وصف الشاعر الرصافي عمامة الحنفي بأنها عمامة غريبة في العراق ، ولم يقصد الرصافي تأثر الحنفي بعمائم المصريين، بل اتخذ من صغر عمامة الحنفي حجة ليسخر من ذات الحنفي نفسه ، بعد أن كتب الحنفي سلسلة كتابات يمتدح فيها شعر الزهاوي (خصم الرصافي اللدود) ، وكأن الحنفي أراد من كتاباته تلك أن ينال من مكانة وأهمية الرصافي في الشعر العراقي، ثم على هامش كتابات الحنفي كتب الرصافي قصيدة أسقط فيها الحنفي سلوكاً وأخلاقاً، جعلت الحنفي يذهب إلى النجف ويطلب من المراجع الدينية العليا فتوى تكفّر الرصافي وبيده قصائد للرصافي تلمح إلى الإلحاد أو شبيه به، لكن المراجع رفضوا تكفير الرصافي (لأن تفسير الشعر يخضع لاجتهادات عدة) . وبقي الحنفي يطارد الرصافي منذ عام ١٩٤٥ شعراً وتثريباً في مجالس بغداد ، وكان نشاط الحنفي محموماً في تكفير الرصافي، فهجاه بقصيدة مقذعة شديدة، مما جاء فيها [٢١]:

ولست بمعجزي أبداً، فإني على كبح الغواة قصرت عمري
شحاك عليّ بالنكراء شاحٍ وكم أغراك بالنبهاء مُغرٍ

حتى إذا أطل عام ١٩٦٢، قام الحنفي بإصدار كتاب (الرصافي في أوجه وحضيضه) وكان كتاباً مهماً في النقد البلاغي والتحليل الدلالي، وهو في جزأين الأول منهما مطبوع، والثاني بقي مخطوطاً [٢٢].

عاش عدة سنوات في الصين، إذ بعثته الحكومة العراقية ليقوم بتدريس اللغة العربية في معهد اللغات الأجنبية بشنغهاي ١٩٦٦، وبقي هناك حتى العام ١٩٧٠، وتمكن خلال وجوده في الصين من أن يفك طلاسم اللغة الصينية ويتفهمها بعد أن أبدع فيها وأتقنها، وخلال ذلك كان زواجه من امرأة عراقية ، وولد له في الصين ولده البكر (لبيد) واثنان آخران من الأبناء . وأعيد إلى الجامعات الصينية العام ١٩٧٥، ولبث نحو سنتين عاد بعدها إلى بغداد، ومن الصين كتب مئات المقالات للصحف العراقية وغيرها . وأثناء تدريسه في الجامعات الصينية أخذ بدراسة اللغة الصينية وتعلّم كتابة مقاطعها، وبذلك اكتشف الكثير من أسرار هذه اللغة، لذلك عمد إلى تأليف معجم صيني عربي أو عربي صيني بأسلوب جديد، إذ قام باكتشاف عدة حروف استلهمها من اللغة العربية لغرض استخدامها مقابل صوت الحرف الصيني، وكتب النون ذات النقطتين والنون ذات الثلاث والأربع نقاط كما سرى هذا الأمر على حروف أخرى، إلا إن هذا القاموس تلف أغلبه في البحر عند عودة الشيخ الحنفي من بلاد الصين، إذ لم يرَ النور مع الأسف ، إذ " نُكب " بهذا القاموس يوم شحنه من الصين عن طريق البحر مع ما استجمع لديه من كتب وأوراق ضمت أصولاً لكتب ومقالات، مع ما تراكم لديه من أمتعة، ليتسلمها من ميناء البصرة وقد تسرب إليها الماء في مستودع الباخرة ، ماحياً كل ما كتب ! فكان ذلك الحادث الأليم فاجعة حقيقية لا للشيخ الحنفي وحده وإنما لأجيال من الطلبة الصينيين الذين كانوا ينتظرون طبع ذلك القاموس في صيغته الأخيرة، بعد أن صرف فيه الرجل قرابة سبع سنوات من البحث والمتابعة والتدقيق. إلا إن إصراره على إكمال هذا الكتاب جعله لا ييأس فدعا حينها وزارة الثقافة إلى مساعدته في إعادة هذا العمل وصار يكتب في الصحف والمجلات حتى آخر أيامه يدعو من يقوم بمساندته في إعادة هذا الكتاب . ومن

خلال وجوده في الصين تعلم اللغة الاسبانية والتي كانت بالنسبة له اللغة الثانية بعد الصينية . كما كان أبناءه يتكلمون الصينية حتى بعد عودتهم إلى بغداد إلا إن مرور الوقت والسنين أنساهم هذه اللغة [٢٣].

أسس الشيخ جلال الحنفي بعد عودته إلى بغداد المركز الإقرائي العراقي في بغداد في العام ١٩٧٧ وكان مقرهُ في جامع الخلفاء ، واستطاع الحصول على الموافقات الرسمية الأصولية لأجل فتحهِ، وكان من المعاهد التعليمية التي اختصت بتعليم أصول وقواعد التجويد وقراءة القرآن والإلقاء الصوتي، إذ يخضع المتقدم للاشتراك في المركز إلى لجنة خاصة تقوم بالمقابلة والاختبار، وأعد الشيخ الحنفي هذه اللجنة من عدة أعضاء ومنهم الدكتور مهدي الخالصي (اخصائي في الحنجرة)، وخبير الجوزة إبراهيم شعوبي ، والناقد الموسيقي عادل الهاشمي والفنان روحي الخماش فضلاً عن الشيخ الحنفي، ومن ضمن المدرسين القارئ ملا عبد الفتاح معروف، وكان المركز ذا دوامين أحدهما صباحي يحضره الطالبات والآخر مسائي يحضره الطلاب، وكان من ضمن طلاب المركز الذين برزوا بعد ذلك: القارئ ضاري العاصي، والقارئ علاء الدين القيسي، والقارئ عبد الرحمن توفيق، وغيرهم كثير. وكان الشيخ وزوجته يقومون بخدمة وتعليم الطلاب مجاناً بلا أجر أو راتب من دائرة الأوقاف، إذ إن زوجته أم لبيد تدرّس الطالبات، ثم أغلق المركز بعد ذلك بسبب وشاية من بعض الذين يخالفون الحنفي في آرائهِ ومعتقداته [٢٤].

قام جلال الحنفي بتدريس اللغة العربية وعلم العروض والمقامات في معهد الفنون الموسيقية في بغداد . وأجرى في (علم العروض) تصحيحات كثيرة ونشرها في كتاب (العروض تهذيبه واعادة تدوينه)، ويعد هذا الكتاب من أضخم مؤلفاتهِ، فوضع فيهِ رسم خطة للعروض إذ أن هذه الخطة ترمي إلى تهذيب وتدوين العروض، وألغى جمهرة من التعليلات التي لا قيمة لها في الواقع لأوزان الشعر وتفاعيله، وذاك أنه قسم التفاعيل البديلة بالنسبة لكل تفعيلة أصيلة، وأوجد نماذج للعروض فالرجز مثلاً هو (٨) أضرب جعلها الحنفي (٥٠) ضرباً وأخترع بها أضرب جديدة. ولقد لقي كتاب (العروض تهذيبه واعادة تدوينه) نجاحاً في الأوساط الأدبية في العالم حتى ترجم إلى أكثر من لغة، وعن هذا الكتاب قال الدكتور عبد الرزاق محي الدين في كلمة كتبها خلال حقبة رئاستهِ للمجمع العلمي العراقي: "الشيخ جلال شخصية أدبية معاصرة موسوعية تعرف عن كل شيء أكثر من شيء، إنه إمام جامع وخطيب جمعة من مكانهِ في الوظيفة ولكنهُ فقيه وأصولي في نظر دارسي الفقه وأصوله، والشيخ جلال في كتابهِ (العروض تهذيبه واعادة تدوينه) ضرب من قواعد هذا الفن أكثر من قاعدة وهدَّ أكثر من سارية وخرج على جملة المواصفات" [٢٥].

وكان الشيخ جلال حريصاً بشكل عجيب على جامع الخلفاء من حيث النظافة والموقع، رغم وقوعه في منطقة مزدحمة تضم خليطاً عجيباً من الناس، ولاسيما سوق الغزل (وأسواق الطيور والحيوانات الأليفة المجاورة للجامع) ، ورغم أن بيته في مدينة الشعب إلا أنه كان يقضي معظم نهاره وجزءا من ليله في الجامع، وكان يحب المشي، فيذهب من الجامع مشياً حتى باب المعظم ليركب سيارة نقل عام إلى الشعب . كانت خطبة الجمعة التي يلقيها مميزة بقصرها وتركيزها، وكان يهتم بطريقة جلوس المصلين وحسن إصغائهم ولا يتردد من تأنيب من يراه منشغلاً أو يجلس جلسة لا تليق بالجمعة [٢٦].

حاول الشيخ تدوين ما استطاع من تراث بغداد، ومن دون حرج، وهو رجل الدين الذي لم تفارقه عمامته الضامرة كما وصفها صديقه الأديب عبد الحميد الرشودي، كان يلتقط الألفاظ البذيئة من أفواه الناس، على أمل أن يجمعها في جزء ثالث من أجزاء كتابه " الأمثال البغدادية " لكنه ظل مخطوطاً، فربما لم يكن قادراً على تحمل مواجهة الناقدين . وربما تعرض الشيخ لنقد على اهتمامه بالموسيقى، الذي تعدى سماعها إلى تعلم العزف على آلاتها. وهنا اقتبس من كلمة الرشودي في تأبين الشيخ، ناقلاً عما كتبه في أحد دفاتره، وكان يستعد لتأليف كتابه "المقام العراقي وأعلام الغناء البغدادي" ، لكن ما ورد لم ينشر للأسف في الكتاب المذكور . قال: " بعد الاتكال على الله انتميت إلى معهد السيد محمد الحسيني في الموسكي ، لتعلم فن العزف على العود، وقد دفعت له القسط الأول وقد أرخ ذلك سنة ١٩٤٠ . قال الرشودي : "وهذا الصنيع يدل على أن الشيخ يرى رأي حجة الإسلام أبي حامد الغزالي في حلية السماع، ما دام لا يشغلك عن عبادة ربك ولا يدعو إلى المجون والفجور، لأن الغزالي يرى الغناء والموسيقى ما هما إلا محاكاة لعندلة البلابل وهديل الحمائم وزقزقة العصافير، وهما من صنعة الله جل وعلا. فضلاً عن أن السماع يشجع الجبان ويندي كف البخيل الشحيح، ويوقظ المشاعر النبيلة في نفس الإنسان. ثم يخلص الغزالي إلى القول : فمن لم يرقه السماع فهو مختل المزاج، ولا يجدي معه العلاج" . وإن كان هذا رأي حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، فلعالم دين معاصر رأي مشابه في سماع الألحان ، إذ قال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٩٥٤) ، أحد أهم مراجع النجف في الثلاثينيات وحتى النصف الأول من عقد الخمسينيات : " الغناء سواء رافقته آلات الطرب الموسيقي أم لا ، مباح ، ما لم يستخف لسامع إلى حد يخرج معه عن الكمال، فهو إذ ذاك مشروع " [٢٧].

سافر إلى مصر ملتحقاً بالأزهر الشريف – كما ذكرنا – ، وسافر غير مرة إلى سورية ولبنان وفلسطين واليمن والصومال وجيبوتي وتونس والجزائر والمغرب وباكستان والهند وأفغانستان والصين واليابان وهونك كونك، وسافر إلى كوريا الجنوبية وخطب في مسجدها الجامع، وسافر إلى الكويت وألف فيها معجم الألفاظ الكويتية، وفي صنعاء حاضر في جامعتها، وحج البيت الحرام ضمن أعضاء هيئة الحج العراقية العليا .

وذكر خالد السلطاني (مهندس) : " يتعين عليّ أن أذكر بأنه خلافاً للكثيرين وأنا منهم ، لم يكن من المعجبين ولا حتى من القانعين بأسلوب عمارة جامع الخلفاء، الذي أعتبر، شخصياً، عمارته من الصفحات الناصعة في سجل العمارة العراقية الحديثة وعمارة المنطقة عموماً . كان ينتقد طريقة عمل مكونات المسجد وأسلوب تجميعها وتحديد أحيازها ، ولاسيما إشارته إلى صغر سعة قاعة الصلاة الدائرية المقببة فيه، لكنه سرعان ما يعترف بأن مساحتها تفي بمتطلبات زواره المصلين الذين يأتون خصيصاً إليه من أماكن بعيدة لسماع خطبته الأسبوعية، فالمنطقة المحيطة بالجامع كما يقول مبتسماً لا تصغي إليه ، إنها تفضل زيارة جامع الخلاني القريب في أيام الجمع، وفي أيام الآحاد زيارة كنيسة اللاتين الواقعة على الجانب الآخر من الشارع ، كناية عن طبيعة "الفسيفساء" المذهبي المحيط بالجامع، جامعه هو : جامع الخلفاء ! . ولئن ظل ممتعضاً من عمارة الجامع الحديثة، رغم محاولاتي المتكررة في تبيان أصالة

المخطط وتأشير الجهد التصميمي فيه ، فإنه من جانب آخر، كان لا يتوانى في الإعراب عن إعجابه العميق وحبه وافتخاره في مئذنة / منارة الجامع القديمة، التي يعود إنشاؤها إلى القرن الثالث عشر، المنارة التي أدخل المصمم وجودها الفيزياوي ، بمهنية عالية، في صميم نسيج التكوين المعماري الجديد. في هذه المرة كنا : هو وأنا متفقين على أهمية المنارة وجمالياتها، وهي حقاً منارة مثيرة ومدهشة في آن، إن كان ذلك لجهة التاريخ أو العمارة . فهي تقف لوحدها منفصلة عن كتل الجامع المبنية، متحدية بارتفاعها العالي الذي يصل إلى ٣٥ متراً عوائد الزمن وضروباً من تشويهات قاسية لحقت بها على مرّ العهود ؛ لكنها ظلت معتدة في كتلتها وهيئتها، حافظة لنا مختلف الطرق الفنية في الزخرفة والتزيين" [٢٨].

لقد كان جامع الخلفاء بالنسبة إليه جزءاً من حياته، بل أكاد أقول: إن حياته اقترنت به ، وكذلك وجوده اليومي . فكان يدخل أروقته صباحاً ولا يخرج منه إلا بعد صلاة العشاء ، وكانت تلك الساعات تتوزع بين تدريس التجويد ، والقراءة ، والكتابة والتأليف ، واستقبال قصاده . وفي هذا الجامع كتب أهم كتبه التي ركز فيها على كل ما هو بغدادي [٢٩]. وعلى الرغم من أن جامع الخلفاء لم يكن مسكنه، فمسكنه يقع في مكان آخر بعيد ، لكنه اتخذه مقراً لإقامته، إذ جعل من إحدى الغرف العلوية في المسجد مقراً له ولمكتبته [٣٠].

كان الشيخ جلال الحنفي ملماً بتضاريس خريطة المحلات البغدادية، والعارف بجغرافيتها وحدودها ، والحافظ لتسمياتها وكيفية نطقها الصحيح ؛ ويعرف العراقيون و" البغادة " لاسيما إن أسماء محلات المدينة العريقة هي خليط غريب عجيب من لهجات ولغات وثقافات وأديان متنوعة كتنوع سكان هذه المدينة بامتياز . "فأسماء محلات مثل تبة الكرد والقرغول وعزات طويلات والبارودية وقره شعبان وباب الاغا والتورات والجوبة والقاطرخانه وتحت التكية والطاطران وباب الشيخ وصبابيغ الال والكولات وعقد النصارى وسوق حنون والسيف وخضر الياس وسوق العجيمي وست نفيسة وقنبر علي وأبو سيفين وغيرها من المحلات التى ترد دائماً على لسان الحنفي بتهجئتها السليمة ونطقها الصحيح ، تبدو الآن وكأنها تسميات غريبة لغوياً على مسامع البغداديين المحدثين ، إنها تسميات يجهلها الكثيرون ومنسية من قبل الكثيرين" [٣١].

ومن الطرائف التي شهدتها حياته تلك المتعلقة بإجادته للغة الصينية، فقد كانت إجادة الحنفي للصينية شيء نادر في العراق، وكانت مصدر مضايقة له، "فقد كان يتحدث مع زوجته بالصينية لكي لا ينسيا اللغة، وفيما هو يكلمها تلفونياً إذا برقيب التلفونات يقول له على الخط :

– ألا تعرف العربية يا شيخ جلال؟ هل أنت تتكلم بلسان الطيور؟

– أنا أكلم زوجتي بالصينية لكي لا ننسى تلك اللغة .

– تكلم بالعربية لكي نفهم ما تقول .

ولما استمر الشيخ جلال على التحدث بلغة الصين، قُطع الخط " [٣٢].

وفي مناسبة أخرى قبض رجال الأمن على بحار صيني تخلف عن اللحاق بباخرته، واتهموه بالتجسس، وتم اصطحاب الشيخ الحنفي إلى البصرة عنوة ليترجم للبحار الذي لم يكن يعرف سوى لغته،

وقال البحار أنه كان يسبح في شط العرب، فإذا به يرى الباخرة التي يعمل بها قد أقلعت تاركة إياه بلا ملابس أو نقود . ولم يصدق رجال الأمن روايته، وحاولوا حثه على الاعتراف عن طريق الشيخ، إلا أن الأخير تمكن من التخلص من تلك المهمة، وعاد إلى معتكفه في جامع الخلفاء [٣٣].

وذكر المهندس خالد السلطاني حقائق طريفة عن سيرته، فقال: "الرجل وإن بدا وقوراً بحكم السن والوظيفة : كإمام لجامع ، كان لا يفتأ يجادل جيرانه سكنة وبائعي الطيور في محلة سوق الغزل الواقع " جامعه " في أرضها ، هم المتسمون بالمبالغة حد الكذب الصريح ، يجادلهم ويحادثهم في لغتهم البغدادية ذات الوقع الموسيقي الخاص . وكنت اصغي بإعجاب وهو يستخدم ضروب التورية والتشديد والمبالغة والتشبيه لمفردات لم اسمع بها سابقاً ، بيد أنها مفهومة ومقبولة من "الآخر" الذي يتحادث معه ، و"الآخر" هنا "المطيرّجية" مربو وأصحاب وعشاق وبائعو الطيور والحيوانات الاليفة ، وغير الاليفة . وعندما كنت أبدي اعجابي بطريقة كلامه ، كان يرد عليَّ ضاحكا بأن في جعبته الكثير منها ، وأن "أشقياء" محلة "سوق الغزل" والمحلات المجاورة لها ، المشهورين في سلاطة اللسان يصغون ويحتاجون إليه في تعزيز "معجمهم" المفرداتي في اللهجة البغدادية الأصيلة " . وأضاف " في قيظ بغداد "الظهري" ، عندما أزوره في الجامع ، أعرف مسبقا كما أنبأني بأنه لا ينام القيلولة، "نومة" ما بعد الظهر الأثيرة لدى العراقيين والبغادة على وجه الخصوص، كنت اضغط بضغطات محددة وخاصة زرّ الجرس الكهربائي الواقع في مكان "خفي" ، بعيداً عن أنظار أطفال المحلة، الذين وجدوا في مشاكسة الشيخ النحيف تسلية لهم ! . وإذ يشرع في فتح الباب الحديدي لي، اسمعه يلعن طيور سوق الغزل الوقحة التى تصب قاذورتها من أعلى على أرضية الممر الطابوقي الجميل ، وفي كل مرة يسألني السؤال إياه " كونك معمار ماهو السبيل لجعل هذه الطيور تكف عن أن تعشعش في زوايا البناء؟" ؛ وعندما أبين له الوسائل المتنوعة في كيفية منعها من الوقوف بتلك الأماكن ، وكما هو متبع في المباني التاريخية والحديثة العالمية ، يهز رأسه غير مقتنع بجدوى هذه الحلول التي يراها معقدة ومكلفة ، والأهم " بأن الأوقاف لا يمكن أن توافق عليها " [٣٤] .

عمله في الصحافة :

عمل الشيخ جلال الحنفي في الصحافة ، وقد امتد تاريخه الصحفي منذ الثلاثينيات حتى أواخر أيامه، متمرسا في كلّ وسائل الاعلام المتاحة (صحف ومجلات، إذاعة وتلفزة). كما يعدّ من أبرز كتاب الأعمدة الصحفية. وتهيأ له أن يطالع الصحف الصادرة في بغداد منذ وقت مبكر جداً إذ كان في الخامسة عشرة من عمره قد التحق بخدمة مجلات جمعية الهداية الإسلامية، متدرجاً من مستخدم بسيط، إلى مصحح، إلى كاتب ومحرر فيها، وكان يطالع ما يصل إلى المجلة من صحف خارجية بطريق المبادلة . وفي العشرين من عمره كان رئيساً لتحرير مجلة الناشئة الإسلامية الأسبوعية ، وكان سكرتيراً لجمعيتها . وفي عام ١٩٣٩ أصدر مجلة الفتح الأسبوعية في بغداد التي كانت تبحث في الدين والأدب والموسيقى . وتوقفت بعد سفره إلى مصر، فلما عاد واصل إصدارها بعد حين من عودته . وكان آخر

عدد لهذه المجلة في ١١ صفر ١٤٢٧ الموافق ١١آذار ٢٠٠٦ إذ أنهى تحضيرها الطباعي إلا انه وافاه الأجل قبل إيصال الجريدة إلى المطبعة، وصدر العدد بعد وفاته . ولبث ينشر في الصحف الأدبية والسياسية مقالات لم ينقطع عنها وصارت له في الصحف أعمدة دائمة ، ومنها جريدة القادسية . وحتى قبيل وفاته كان يعد أقدم صحفي عراقي على قيد الحياة، إذ أن له مقالات وكتابات في الصحف والمجلات منذ ثلاثينيات القرن العشرين [٣٥].

مؤلفاته :

جلال الحنفي أحد أعظم الموسوعيين العرب في هذا العصر، إن لم يكن أعظمهم وآخرهم إطلاقاً. ورصيده عشرات الكتب التراثية في النغم الموسيقي العربي، والأمثال العربية والعراقية والكويتية والخليجية، والتاريخ واللغة والمقامات الغنائية، وكان أفرد عصره في المقامات، ومن يقرأ مقالاته الصحفية الأسبوعية يذهل لقوة ملاحظاته الدقيقة التي كان ينبه قراء القرآن على مناهج المقام العراقية التقليدية إلى أخطائهم في ما يسمعه من تلاوة، لأنه كان الأعلم بهذه المقامات، وكانت ملاحظاته دقيقة وصائبة إلى حد كبير . وكتب أول قاموس عربي صيني، صيني عربي.

لقد كان الحنفي انسكلوبيديا، ومكتبة متجولة، وشخصية طريفة، ومقرئ قرآن من الطراز الفريد من نوعه، فضلاً عن اهتماماته بالتراث الشعبي، ويعد رائداً من رواده في العراق. ولو أردنا استعراض منجزاته في هذا الحقل المهم لاحتجنا إلى تأليف كتاب قائم بذاته . وجاء وصفنا له بأنه باحث موسوعي لأنه كتب في عدة مجالات، منها ما يمت إلى الشريعة ككتابه "معاني القرآن" و"التشريع الإسلامي والفكر اللاهوتي في الإسلام"، ومنها ما يمت إلى المعاجم كمعجم اللغة العامية البغدادية، والمغنين البغداديين والمقام العراقي. وكتب العلامة الحنفي في الأدب قضايا عديدة، وفي الشعر نظم الكثير وألف كتابه في تعليم صناعة الشعر لكثرة اهتمامه بالتراثيات البغدادية وله أكثر من ثلاثين كتابا مطبوعاً، ومثلها خطياً، ومن أهم كتبه الآتي [٣٦]:

١- اصدر الحنفي في العام ١٩٤٠، وأثناء دراسته في الأزهر كتاب (التشريع الإسلامي تاريخه وفلسفته) فلقي ترحيباً ومحبة من لدن علماء الأزهر وفي مقدمتهم العلامة (محمد فريد وجدي) الذي كتب عن الكتاب في مجلة الأزهر معجباً، قائلاً: " والحنفي ذو عقلية عصرية جمع بين التالد والطريف، فنرجو لكتابه الرواج الذي يستحقه " .

٢- معاني القرآن : صدر في العام ١٩٤١ وهو تفسير الجزء الأول من السور القرآنية، واستخدم فيه خطة جديدة في التفسير، بناها على ضرورة فهم المسالك الكلامية التي جرى عليها أسلوب القرآن، وفي هذا الكتاب أظهر قدرة على التفقه والتمعن في علم الأصول، وهو مجلد ضخم يفسر فيه القرآن بروحه الواقعية وبخبرة الفقيه الكبير.

٣- آيات من سورة النساء : الذي صدر في العام ١٩٥١ وأثيرت ضجة بشأنه .

٤- الفلسفة الصحية في الإسلام : في العام ١٩٥٢ وفيه مباحث عدة في الوهم والوقاية .

٥- العروض: تهذيبه وإعادة تدوينه : صدر له في العام ١٩٧٨ ، ويقع في (٨٦٠) صفحة ، وهو من أهم كتب علم العروض ، وانتهج فيه منهج التبسيط وتصحيح المصطلحات والتوسع في البحور .

٦- قواعد التجديد والإلقاء الصوتي : وهو في علم الموسيقى، ويعد من خيرة مصادر علم الأصوات واللسانيات، وصدر ببغداد في العام ١٩٨٧ .

٧- معجم اللغة العامية البغدادية : وهو في سبعة مجلدات طبع منها بعض أجزائها وفيه يستوفي آلافاً من ألفاظ العامة ومصطلحاتهم ، وبيان أصول كثير من هذه الألفاظ وتجذيرها اللغوي ، وقد أفنى حياته في تأليفه . صدر الجزء الأول في العام ١٩٦٣، أما الثاني فصدر في ١٩٦٦ .

٨- ثلاث سنوات في جوار الميتم الإسلامي عام ١٩٥٥ .

٩- الروابط الاجتماعية في الإسلام عام ١٩٥٦.

١٠- الحديث من وراء المكرفون عام١٩٦٠.

١١- المرأة في القرآن الكريم عام ١٩٦٠.

١٢- الأمثال البغدادية ، وصدر جزؤه الأول في العام ١٩٦٢ ، والثاني في العام ١٩٦٤، وكتب التقديم له الشيخ محمد رضا الشبيبي .

١٣- المغنون البغداديون والمقام العراقي في العام ١٩٦٤ ، وهي دراسة عن المقام العراقي والغناء البغدادي وتلقيه في الجالغي البغدادي والموالد والأذكار والتمجيد على المنائر، وتضمن الكتاب (٢٣٠) شخصية من قراء المقام العراقي، وقد ورد اسم الشيخ جلال الحنفي ضمن تلك الأسماء

١٤- رمضانيات عام ١٩٨٨.

١٥- مقدمة في الموسيقى العربية عام ١٩٨٩.

١٦- شخصية الرسول الأعظم قرآنيا عام ١٩٩٧، وهو الكتاب الذي أوصى أن تدفن نسخة منه معه بعد وفاته ، وتم له ما أراد بالفعل .

١٧- الأيمان البغدادية، (مع ملاحق تضمنت الإيمان الحلية والموصلية والعمارية والهيتية والسامرائية والكربلائية والناصرية)، وصدر في بغداد في العام ١٩٦٤.

١٨- معجم الألفاظ الكويتية ، وصدر في بغداد في ١٩٦٤.

١٩- الصناعات والحرف البغدادية، (بحث في الصناعات والحرف، مشفوع بثلاث وعشرين صورة فوتوغرافية) ، وصدر في بغداد ١٩٦٦.

٢٠- الدر النقي في علم الموسيقى، (تحقيق مخطوطة للسيد احمد بن عبد الرحمن القادري ، المعروف بالمسلم الموصلي) ، وصدر في بغداد في العام ١٩٦٤. وأصل هذه المخطوطة يحمل اسم "بيان المقامات الحلية مع الفروع والأوزان الأصلية" لمؤلفه عبد المؤمن البلخي، وهو بالفارسية. وقد ترجمه إلى العربية المسلم الموصلي، وحققه الشيخ الحنفي وقدم له وعلق عليه – عن نسخة المرحوم سعيد الديوه جي – في الموصل المنسوخة عن نسخة عبد الغني النقيب. ويشير محتواه إلى بيان أصل المقامات ودائرتها

وتعلقاتها بالبروج والأفلاك والساعات، وطبائعها وما يوافقها من الحروف حال قراءتها، والمجالس وما يوافق كل مجلس على حسب طبائع المستمعين، وكيفية قراءتها والتنقل من مقام إلى مقام.

٢١- لمحات عن المقام العراقي ، وصدر ببغداد في العام ١٩٨٣، وفضلاً عن اللمحات ، صنف الحنفي أسماء قراء المقام العراقي حسب التسلسل التاريخي ، ذاكراً اسم كل قارئ ، والمدينة التي ينتسب إليها، وتاريخ الولادة ، وتاريخ الوفاة.

٢٢- التلاوة البغدادية ودورها في حماية النغم وإنمائه، دراسة أعدها لمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي للموسيقى العربية ببغداد، عام ١٩٧٥.

٢٣- شمائل بغداد وحياتها اليومية في عشرينات القرن العشرين ، وقدم له الدكتور حسين علي محفوظ .

٢٤- كلام على الإملاء العربي: قدم له الدكتور إبراهيم السامرائي

٢٥- الأدب العربي في الجاهلية والإسلام .

٢٦- العلم والإيمان : من المناهج التي كانت مقررة في كلية الإمام الأعظم .

ومن كتبه غير المطبوعة الآتي :

١- المقام العراقي، تاريخه وأصوله، أشار إليه مؤلفه في كتاب "المغنون البغداديون" ص٢١.

٢- محمد القبانجي، تاريخه وحياته .

٣- مستدرك "المغنون البغداديون" .

ونشر من الكتب [٣٧]:

١- أعيان البصرة لعبد الله باش أعيان العباسي (١٩٦٠) .

٢- الدرّ النقيّ في علم الموسيقى لأحمد بن عبد الرحمن القادري الرفاعي (١٩٦٤) .

ولو استعرضنا مقالاته وبحوثه الفولكلورية المبثوثة في الدوريات العراقية لاحتجنا إلى مساحة كبيرة .

شعره :

كتب العديد من القصائد في شتى المجلات وكانت الحصة الكبرى لبغداد ، ومن ضمن ما قال فيها بعد الاحتلال الأمريكي قصيدة اسماها نكبة بغداد إذ قال فيها [٣٨]:

ابغداد إن الهم إن كان زائلا

وكيف يزول الهم وهو لثقله

وكيف يزول الهم وهو لعمقه

كوارثه في جيلنا جد جمة

لعمري أرى الهم الذي كان نالنا

فما كان هولاكو على مثل ما نرى

ولم أرى هذا الدهر إلا مراوغا

أدار عليها جام حنث بوعده

ابغداد إن المجد قد كان قائما

اجدّك هل كانت هناك مدينة

لقد كان طلاً مثل ذلك في الورى

ابغداد يا خير الديارات دارة

لقد بت عبدا مسترقّا مضيّقا

ابغداد إن الخصم قد راح زاعما

ابغداد إن الدمع ليس بقادر

رثيت لبغداد تحطم ركنها

وما كان من مجد لها كان قافلا

الا ان من قد مر منها مهرولا

يهون وما إن احسب الهم زائلا

لقد راح يرقى كاهلا ثم كاهلا

لدى كل نفس شق فيها جداولا

إذا رحت تحصيها وليست لائلا

تقاصر يوما ان ينال الاوائلا

بأقبح أحداثا وأخزى فعائلا

لبغداد في أحواله ومخاتلا

ومازال عن بر بها متجاهلا

على كل دار من ديارك ماثلا

بأعظم من بغداد فضلا ونائلا

فلما احتوى بغداد أصبح وابلا

وأكرمها أرضا وأسمى منازلا

وبات أرقاء هناك أماثلا

لارضك تحريرا وكان مقاتلا

على ان يُرى للعار والخزي غاسلا

وما كان من نجم بها صار آفلا

إليها غدا ما كان قد خال راحلا

يخاف منایاها لقد عاد صائلا

وكانت آخر قصيدة نشرت له هي خطابا للمسلمين بمناسبة الحادث الأليم الذي تعرض له ضريح الإمام علي الهادي (عليه السلام) في سامراء يوم ٢٢شباط ٢٠٠٦ وقال في هذه القصيدة العصماء :[٣٩]

أيها المسلمون لا تحسبوا أنفسكم في جمع وانتم ضياعُ
قد وجدناكمُ ومالكمُ عند اجتماعٍ بين الأنام اجتماعُ
أمة قد تقطّعتْ في يديها قبل أسياف جندها الادراعُ
أوشكتْ ان تبيت منها لدى الصبح قتاماً أنوارها والشعاعُ
فتنةٌ كادتْ الصدور لهول الأمر منها ان تقفز الأضلاع
كنتمُ عبر أدهر سادة الأرض ومنكم فيهن طالت قلاعُ
أيها المسلمون طوبى لمن كان له بالذكر الحكيم اقتناعُ
إنما السنّيون في كل قطرٍ لعلي الهادي همُ أتباع
والتجني على عليّ تجنٍّ ليس فيه لنا عليه اطلاعُ
إنما قصد كل من قصف الهادي اختلاق لفتنة واصطناع
أمة دينها إلى السلم يدعو ولديها لذاك منه انصياعُ
أيها المسلمون عودوا إلى الله واني في ذا لكم مذياعُ
كيف يقسو أخ على من همُ إخوته أو همُ له أشياع
أيرى المسلمون ان ضلالاً هو حقٌ يرجونه ومتاعُ
إذ يبيتون لا مساك لهم إذ إنهم غيرُ سادةٍ بل رعاعُ
إنكم أهل وحدةٍ ذاتُ ثديٍ مالكم من سواه يوماً رضاعُ
إنها وجهةٌ إليها دعا في كل بحرٍ للجاريات شراعُ
فإذا ما عصيتم الله عشتم بين أُسدٍ وانتمُ أضباع
إيه يا أربعاء أشأمَ يومٍ عرفته ربوعنا والبقاعُ
ولقد كنتَ إذ ظهرتَ بهذا الشؤم كان اللقا به والوداعُ
لعلي الهادي لمن قرأ التاريخ مجد ما ان عليه قناعُ
القراعُ الذي علينا لدى الخصم قراعٌ وبيننا لا قراعُ
قد أقام الإله للصلح بابا بيننا حين لا هناك نزاعُ
ليس ما بيننا ولا بين أهل الفسقِ باعٌ من الخنا وذراعُ
إنما بيننا صلاحٌ وإصلاح وما إن عن الصلاح انقطاعُ
لا يرى للماضي الذي زال بالمرة فيه الرجاء القديم ارتجاع
وغدونا فينا العداوات تشتد فما إن تغني الأشعار والأسجاع
الإمام الهادي وكان أخا وعظ رقيق تلتذه الأسماع

هؤلاء الأسباط قد أصلحوا الدنيا فطابت بذلك الأوضاع
يُنعش النفس ما أصاخت إليه وبهذا تطيب فيها الطباع
يا إمام الهدى عليك سلام إنما المجرمون خابوا وضاعوا
فأجرنا يا رب من قسوة الدنيا ففيها تعاسةٌ والتياعُ
إذ وجدنا الشقاء قد بات يشرى بين أكنافها وبات يباعُ
وعلى درء ما هناك من الفتنة كي لا يشتد فيها الصراع

خلافه في علماء عصره :

أختلف الشيخ الحنفي مع الكثير من الأدباء والعلماء في بغداد ، وكانت له سجالات ونقاشات حادة تناقلتها الصحف والمجلات، ومنها خصومته التي سبق ذكرها مع الشاعر معروف الرصافي الذي نظم قصيدة في وصف الحنفي بأقذع الهجاء يصفه فيها إنه: (النزق والهذر). كما خاصم مشاهير المؤرخين وكبار الباحثين وكان لا يرجع عن رأيه المقتنع فيه، إذ انتقد الدكتور جواد علي، وناقش الدكتور عبد العزيز الدوري، والشيخ عبد الكريم زيدان ، والدكتور بديع شريف، ولم يتفق معهم، واختلف مع الدكتور علي الوردي وخاض معه في الجدل العقائدي، وقابل الملك فيصل وسجن في العهد الملكي أكثر من مرة لخلافهِ مع الملك فيصل وسياسته. كما أختلف مع الشيخ أحمد الكبيسي وحدثت له معه معركة كلامية نقلتها الصحف العراقية، إذ قال الكبيسي إن الجن يتلبس جسد الإنسان، فرد عليهِ الحنفي بقوة ووصف رأي الكبيسي بالخرافات. كما كانت لهُ اجتهادات مثيرة للجدل ومنها إنه يكره مصافحتهِ وهو جالس للتدريس، وكان لا يعترف بالمنامات والأحلام ويعدّها أضغاث أحلام باستثناء الأحلام الخاصة بالأنبياء والفلاسفة، ونهيهِ عن رفع مكبرات الصوت بالآذان في المساجد بحجة أن الناس يعلمون بوقت الصلاة عن طريق الساعات اليدوية والإذاعة والاكتفاء بصوت منخفض داخل المسجد، وكذلك اجتهادهِ في جواز حلق اللحى، وكراهيته لترديد المصلين بصوت عال خلف الإمام بعد قراءة سورة الفاتحة بقولهم (آمين) [٤٠].

وفاته :

رغم تقدمه في السن ظل الشيخ جلال الدين الحنفي يقوم بعمله اليومي المعتاد إماماً لجامع الخلفاء أقدم جوامع بغداد. فضلاً عن إمداده الصحف بالمقالات التراثية اللغوي . وتوفي في بغداد في ٥ صفر ١٤٢٧ هـ / الموافق ٥ آذار ٢٠٠٦م ، عن عمر ناهز الثانية والتسعين . وجاء في وصيته : "الموت حق علينا، أوصي بعدم إقامة مجلس فاتحة لي، وتقبلوا تعازي كل من جاءكم إلى البيت، وأحسنوا ضيافته . أوصي بأن يصلى عليّ تلميذي الشيخ علي الربيعي مسبلاً، ولا أريد تشييعاً . وبالنسبة لكتاب معجم اللغة العامية البغدادية، جمعت قصاصاته في خزانات المكتبة، أتمنى أن يأتي من يحب بغداد، ويطبع هذا الكتاب، ليخلد لبغداد لغتها . وأتمنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم " [٤١].

ودفن في مقبرة الشيخ عمر السهروردي في بغداد ، وكان آخر ما كتبه الشيخ الحنفي بخطه يوم الأحد الساعة الرابعة فجراً قبل وفاته بساعتين [٤٢]:

فيم لم تغتمض هنالك عيني يوم أن طال الليل إذ أنا صاحِ
ما عسى أن تقول عين إذا ما امتنعت عن منامها للصباحِ
كنتُ عند النهار أشكو سقاماً زاد فيه الآلام من أتراحي
قد لعمري ارقتُ في سابق الأيام لكن ما أن فقدت ارتياحي

لقد عاش الشيخ جلال الحنفي حياة الزهاد، فلم يكن باحثاً عن مجد أو جاه، وكان غناه هو غنى النفس والعقل، أما سعيه الأكبر في الحياة فكان سعياً وراء الكلمة التي وظفها خير توظيف في التأليف العلمي .

وقد كتب الدكتور أكرم عبد الرزاق المشهداني في رثائه قائلاً : " رزئت بغداد بفقد أحد أبرز عشاقها .. كما فقد الأدب العراقي واحداً من رموزه .. وفقد الفن أحد أعمدته الفكرية.. وفقد الفولكلور واحداً من أبدع رواده .. وخسرت الصحافة أحد رواد الكتابة الصحفية، وغاب عن جامع (الخلفاء) راعيه وحارسه الهمام وخطيبه وإمامه ومؤنسه .. و خسر العراق واحداً من ألمع شخصياته الفكرية والأدبية والدينية والتراثية، إنه حبيب بغداد وعاشقها الشيخ جلال الحنفي الذي كان يصرّ إلا أن تقترن بغداد مع أسمه فسمى نفسه بالبغدادي " [٤٣].

وقال عنه المهندس خالد السلطاني :" بفقده خسرت بغداد ذاكرتها الشفاهية ، وحافظ معجم لغتها الدارجة المحكية والمولع بتراثها الغنائي والبنائي ، والصفة الاخيرة هي التي جمعتنا معاً، هو العارف بمحلات بغداد وسكانها و أبنيتها الشعبية، وأنا التائق إلى معرفة المزيد من ذلك المنجز الرفيع والإبداعي، والمنسي مع الأسف، الذي ندعوه العمارة العراقية الحديثة " [٤٤] .

الخاتمة :

يعد الشيخ جلال الحنفي من أهم المؤلفين الموسوعيين العراقيين المعاصرين، إن لم يكن أهمهم على الاطلاق، واختص بجوانب متعددة من المعرفة والثقافة، وكان مثالاً للشخصية البغدادية الأصيلة، حتى أنه أفنى عمره في توثيق التراث والثقافة البغدادية .

لقد ترك العلامة الحنفي تراثاً زاخراً ومتنوعاً، يستحق الاهتمام والبحث والجمع والدراسة والنشر، من لدن الجهات والهيئات الثقافية المعاصرة الرسمية وغير الرسمية، كما يشكل تراثه أرضية ثرة لاستقاء الدروس والأصول المنهجية لترسيخ معالم المدرسة العراقية البغدادية في جوانب التراث والدين والثقافة والعمارة والاجتماع .

وأخيرا تتطلع الباحثة إلى أن تلتفت وزارة الثقافة العراقية إلى نشر غير المطبوع من تراثه الفكري، فضلاً عن إعادة طبع المطبوع منها .

قائمة الهوامش :

[1] لقب نفسه (الحنفي) اعتزازاً بالإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي .
[2] هناك العديد من الروايات حول سنة ولادته تتراوح بين ١٩١٢ و ١٩١٤ و ١٩١٥ .
[3] مير بصري، أعلام الأدب في العراق الحديث، ج ٢، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٦، ص ٥٤٨ .
[4] حميد المطبعي، الصوت الثائر في موسوعية الثقافة العربية، جريدة الزمان الدولية، العدد ٢٦٢٤، ٢٠ شباط ٢٠٠٧ .
[5] نقلاً عن : وديع العبيدي، الشيخ جلال الحنفي العالم والأديب والفنان، ديوان العرب، ٤ تشرين الثاني ٢٠١٤ .
[6] المصدر نفسه .
[7] الأب أنستاس ماري الكرملي : اسمه بطرس جبرائيل يوسف عواد (٥ آب ١٨٦٦- ٧ كانون الثاني ١٩٤٧) رجل دين مسيحي ولغوي عربي، عراقي- لبناني، وهو سليل أب لبناني وأم بغدادية فأبوه يدعى جبرائيل يوسف عواد من إحدى قرى لبنان، قدم والده بغداد سنة ١٨٥٠، وأقام بها، وتزوج من فتاة بغدادية تسمى مريم، وأنجب منها خمسة بنين وأربع بنات، وكان بطرس الذي عرف بعد ذلك باسم أنستاس ماري الكرملي الرابع بين أولاده. وضع كتباً مهمة وأبحاثاً جديدة عن اللغة العربية. وكان يرى في الخروج على اللغة العربية خطأ لا يمكن قبوله أو التساهل فيه. وساهم في عملية التعريب، وأصدر مجلتين وجريدة. وتميزت مجلة لغة العرب التي أصدرها في عام ١٩١١، بأبحاثها الأدبية والتاريخية. وألف معجماً سماهُ المساعد. وكان له مجلس يعقده للمناقشة والحوار ويسمى مجلس الجمعة في دير الآباء الكرمليين في محلة سوق الغزل ببغداد، وكان يتردد عليه أساطين اللغة العربية وعلمائها وأعيان البلد على اختلاف مللهم ونحلهم، ومن رواد المجلس الشيخ جلال الحنفي.
ينظر : أنستاس الكرملي - ويكيبيديا(wikipedia.org)
[8] جلال الحنفي - ويكيبيديا(wikipedia.org)
[9] مير بصري، المصدر السابق، ٥٤٨/٢ .
[10] المصدر نفسه .
[11] المصدر نفسه .
[12] إبراهيم الدروبي، البغداديون أخبارهم ومجالسهم، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٨، .
[13] محمد صادق السامرائي، جلال الحنفي مؤرخ موسوعي، جريدة الزمان، ٤ آذار ٢٠٢٠ .
[14] رشيد الخيون، جلال الحنفي فقيه لم يسيس العلاقة بين الدين والدنيا، جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٠٠٨١، ٥ تموز ٢٠٠٦ .
[15] المصدر نفسه .
[16] المصدر نفسه .
[17] مير بصري، المصدر السابق، ٥٤٩/٢ .
[18] رشيد الخيون، المصدر السابق .
[19] نقلاً عن : وديع العبيدي، المصدر السابق .
[20] حميد المطبعي، موسوعة أعلام العراق، ص ٢١٢ .
[21] مير بصري، المصدر السابق، ٥٥٠/٢ .
[22] رشيد الخيون ، صحيفة الأضواء ، ٢٤ شباط ٢٠٠٧ .
[23] حميد المطبعي ، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٥، ص ٢١٢ .
[24] محمد صادق السامرائي، جلال الحنفي مؤرخ موسوعي، جريدة الزمان، ٤ آذار ٢٠٢٠ .
[25] المصدر نفسه .
[26] رشيد الخيون، المصدر السابق .
[27] المصدر نفسه.
[28] خالد السلطاني ، في وداع الشيخ جلال الحنفي البغدادي ، الحوار المتمدن ، العدد ١٤٨٧ ، ١٢ آذار ٢٠٠٦ .
[29] ماجد السامرائي ، جلال الحنفي ، جريدة الحياة ، ١٠ آذار ٢٠٠٦ .
[30] خالد السلطاني، المصدر السابق .
[31] المصدر نفسه .
[32] مير بصري، المصدر السابق، ٥٤٩/٢ .
[33] المصدر نفسه .
[34] خالد السلطاني، المصدر السابق .
[35] حميد المطبعي ، موسوعة أعلام العراق ، ص ٢١٢ .
[36] حول مؤلفاته الكاملة ينظر : مير بصري، المصدر السابق، ٥٤٩/٢ ؛ وديع العبيدي، المصدر السابق؛ عبد الجبار السامرائي ، عن الشيخ جلال الحنفي، جريدة المدى، على موقع الجريدة الالكتروني :

https://almadapaper.net/

[٣٧] مير بصري، المصدر السابق، ٥٤٩/٢ .
[٣٨] حميد المطبعي ، الصوت الثائر ، المصدر السابق .
[٣٩] خالد السلطاني ، المصدر السابق .
[٤٠] وديع العبيدي، المصدر السابق؛ محمد صادق السامرائي، المصدر السابق .
[٤١] رشيد الخيون، المصدر السابق .
[٤٢] سعد البغدادي ، الشيخ جلال الحنفي حيا وميتا ، منشور على الرابط :

www.almothaqaf .com

[٤٣] إيمان البستاني، جلال الدين الحنفي شيخ بغداد وعاشقها، مجلة الكاردينيا، ٢٧ تشرين الأول ٢٠١٢.
[٤٤] خالد السلطاني، المصدر السابق .

List of sources:

First: Books

1- Ibrahim al-Droubi, Baghdadis News and Councils, Association Press, Baghdad, 1958.
2. Hamid Al-Musta'i, Encyclopedia of Iraqi Flags in the 20th Century, House of Public Cultural Affairs, Baghdad, 1995.
3- Mir Basri, Sciences of Literature in Modern Iraq, C2, Dar al-Hikma, London, 2016.

Second: Published articles

4. Anastasia Carmeli - Wikipedia (wikipedia.org)
5. Iman al-Bustani, Jalaluddin Al-Hanafi, Sheikh and Lover of Baghdad, Kardinia Magazine, October 27, 2012.
6. Jalal Hanafi - Wikipedia (wikipedia.org)
7- Hamid Al-Masmi, Revolutionary Voice in the Encyclopaedia of Arab Culture, Al-Zaman International Newspaper, Issue 2624, February 20, 2007.
8- Khalid al-Sultani, farewell to Sheikh Jalal al-Hanafi al-Baghdadi, Civilized Dialogue, Issue 1487, March 12, 2006.
9- Rachid Al-Khayun, Jalal Hanafi Fakih did not politicize the relationship between religion and the world, Middle East Newspaper, issue 10081, July 5, 2006.
10- _____ Al-Adwaa newspaper, February 24, 2007.
11- Saad al-Baghdadi, Sheikh Jalal al-Hanafi alive and dead, posted on the link:

www.almothaqaf .com

12- Abdul Jabbar al-Samarrai, about Sheikh Jalal al-Hanafi, Al-Mada newspaper, on the newspaper's website: https://almadapaper.net/
13- Majid al-Samarrai, Jalal Al-Hanafi, Al-Hayat Newspaper, March 10, 2006.
14- Mohammed Sadiq al-Samarrai, Jalal Al-Hanafi, Encyclopedic Historian, Al-Zaman Newspaper, March 4, 2020.
15. Wadih al-Obaidi, Sheikh Jalal al-Hanafi, writer and artist, Diwan al-Arab, November 4, 2014.